التطبع الاثنوغرافي التلمساني خلال العصر الحديث على ضوء رحلة لويس دل مارمول كاربخال (ت1019هـ/1611م).

The ethnographic Tlemcenic printing during the modern era in the light of the trip of Luis del Marmol Carvajal (d. 1019$^{A.H}$/1611$^{C.E}$)

أ.محمد بومدين
جامعة أبو بكر بلقايد/ تلمسان.
boumedinem999@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019-12-11 تاريخ القبول: 2020-01-03 تاريخ النشر:2020-01-24

الملخص:

تكتسي كتب الرحلات أهمية بالغة وتشكل اطارًا مصدريًا هاما للكثير من الفرضيات الّتي تبحث في تحليل وتَقصِّي التطبع البشري في جانبه الاثنوغرافي لبعض المدن الجزائرية خاصة مع بداية الفترة الانتقالية في النصف الثاني من القرن **10هـ/16م**.

وعليه لا جَرَمَ القول هنا إن الإسباني لويس دل مارمول كاربخال **(ت 1019هـ/1611م)** واحد من بين الرحالة الاثنوغرافيين هؤلاء، بل والّذي اختص وبَرَز بروزا واضحا في المشاهدة والمعاينة عن أمثاله، عندما قدم معطيات ومعلومات دَسِمَة عن مدينة تلمسان يتَّسِم بعضها بالإلمام المُحدَّد والدَّقة والغِنَى المَعرِفي، وبعضها تنقصه التفاصيل وتَعُوزُه في شكل إشارات وحتَّى ومضات وصفية تعكس ميول الرحالة واتجاهاته واهتماماته، وتركز بالجملة على ملامح التطبع الاثنوغرافي التلمساني وعلاقاته بمؤسساته المختلفة مع بداية العصر الحديث، ما يُمكِّنُنا من أن نستكشف ونتعرف على مجموعة من السياقات الزمنية والمكانية المرتبطة أساسا بالعامل المحرك للتَّغيُّر الحاصل، والمُؤسس للوضع الجديد الّذي سوف تكون عليه هذه الحاضرة ومدنها وأريافها فيما بعد.

الكلمات المفتاحية: تلمسان; الرحلة ; لويس دل مارمول كاربخال; رحلة إفريقيا ;الاثنوغرافية; علم طبائع السكان.

Abstract:

The travel books have an important source framework for many hypotheses looking at analyzing and investigating the history of humanization in its ethnographic aspect of some Algerian cities, especially with the beginning of the transitional period in the second half of the **10th/ 16th century.**

Therefore, it is not offensive to say that the Spanish traveler Luis del Marmol Carvajal **(d. 1019$^{A.H}$ /1611$^{C.E}$)**, one of them, who was a prominent figure in the observation and examination of them when he provided data and information about the capital of Tlemcen, some of which are characterized by specific knowledge, accuracy, richness. It lacks details and lacks in the form of signs and even descriptive flashes that focus wholesale on Tlemcen ethnography and its relations with different institutions at the beginning of the modern era, What enables us to explore and identify a set of temporal and spatial contexts mainly related to the driving factor of the change taking place, and the founder of the new situation that this present, its capital and its countryside will be later on.

Keywords: Tlemcen; trips ; Luis Del Marmol Carvajal ; Africa trip ; ethnography ; humanization Science.

المقدمة:

في إطار ما يُعرف بالرّحلات وأنواعها وعلى اختلاف أهدافها وخلفياتها، أضحت حاضرة تلمسان مع مطلع القرن **10هـ/16م**، تأخذ حيزًا وافرًا في اهتمام الرَّحالة الأجانب من الضفة المقابلة، الّذين دخلوها ووصفوها وأشاروا بمشاهداتهم لجوانب مهمة عن المتغيرات الحاصلة فيها آنذاك، فكان ولازال هذا الشكل المصدري من بين أهم ما يرجع إليه من قبل الباحثين الأكاديميين، بغية تحليل وتركيب السياقات الزمنية والمكانية التاريخية في بداياتها الحديثة، وبعثها في حلَّة وتركيب منهجي جديدة يكشف عن مؤثرات الفترة الانتقالية الّتي عرفتها المدينة وتداعيات كل ذلك على طبائع سكانها.

وفي هذا الصرح العام لما ميز هذه الرحلات، تنضوي رحلة مُمَيَّزَة جابت وصالت الكثير من المناطق في شمال إفريقيا وافريقيا جنوب الصحراء مع أنصاف هذا القرن الحَرِج، والّتي كانت تلمسان وبعض مدنها وأريافها التابعة لها بصفة مباشرة أم غير مباشرة من مظاهر ما آثرنا الوقوف عليه منها، عبر إماطة الأستار عن شخصية دينية وعسكرية سياسية إسبانية بارزة في ساحة مجريات أحداث القرن **10هـ/16م**، اشتهرت برحلة صُنِّفَت من بين الرحلات الاثنوغرافية الرسمية، ولبست ثوب الاستريوغرافيات الاستطلاعية والاستكشافية الأوربية الحديثة، عندما أعدت في الأساس كتقرير عسكري سياسي موجه لعائلة آل هابسبورغ الإسبانية، وليتحول فيما بعد إلى كتاب عرف باسم "**إفريقيا**"، والّذي ركز مؤلفه من خلاله على التنقيب والتقميش عن كل ما يمس أو يقترب أو يساعد على تحليل الجانب الاثنوغرافي المُحلِّل لطَبائع عيش السكان في عاداتهم وتقاليدهم وخصائص عيشهم واهتماماتهم الحياتية واليومية.

أو ما اصطلح عليه عند فلاسفة التاريخ الاجتماعي بالتطبع البشري الاثنوغرافي الّذي يستكشف يوميات البلاد والعباد، ويعتني به اعتناء كبير سواء بصيغة التصريح في الوصف تارةً أو بالتضمين لذلك تارةً أخرى وبأساليب تأريخية متباينة وهادفة المقصد تبعا لحساسية المشاهد المؤرخ له.

فمن منطلق هذه المقاربات وإشكالاتها يُمكن تأسيس طروحات الدراسة على أساسين اثنين:

أولهما يسعى لنفض الغبار عن سيرة الرحالة في شخصه ومكانته الاجتماعية، لما علمنا أن الرجل لم يدرس دراسة مستفيضة تفي إفادة جادة عن منجزاته الفكرية المُسَيَّسَة وما ميَّز مسِيرته كخادمٍ ومؤرخ لبلاطِ الملكية الاسبانية، وكذا التدقيق في تكويناته الّتي رسمت ونحتت مواقفه وتوجهاته التاريخية وصقلت طريقة تدوينه للحوادث التاريخية كانت أو وصفه لما يشاهده ويعايشه بالشَّوفِ أو غيرُهُ.

وثانيهما مرتبط بالأول ومؤسس عليه، يرمي بالتقصي والتَّمحيص إلى تفصيل الإجابة عن هذه المقدمات وعناصرها المُتَمَحورة حول خصوصيات التطبع البشري التلمساني كما لَمَّعَه وصوره القلم الإسباني مع لويس[1] دل[2] مارمول[3] كاربخال[4]، على الشكل ذِي الطّرز المنهجي والمعرفي الموالي:

1. لويس دل مارمول كاربخال (السيرة والمسار):

1.1. نشأته:

1.1.1. مولده:

ولد لويس دل مارمول كاربخال في شهر جوان[5] من سنة **1520م**، بمدينة غرناطة من أُمٍ مجهولةٍ وبطريقة غير شرعية، ليعترف به والده بيدرو دل مارمول (**d.1582**$^{A.D}$)[6]، حتَّى مع نهاية شهر مارس من سنة **1528م**[7]، بعد تأكيده واثباته بوثيقة نسب عائلية أَن لويس دل مارمول واحد من أبنائه[8].

1.1.2. عائلته:

ينتمي لويس دل مارمول كاربخال إلى عائلة من طبقة متوسط في إسبانيا، والّتي تحولت بعد فترة قصيرة كواحدة من الطبقات الأرستقراطية، لما بدأت تشارك في حيازة وشراء أراضي المورسكيين[9]، لتقوم بإعادة بيعها بصفة غير قانونية خدمة للعائلة الملكية من جهةٍ، وبهدف الحصول على امتياز ذلك النشاط التجاري من القصر الملكي من جهةٍ أُخرى، وهو ما فتح لها المجال لأَن تصبح من أَكبر العائلات البرجوازية في تلك الفترة وتزاحم مختلف الفئات الراقية في اسبانيا[10].

1.1.3. أسره:

تشير أغلب المصادر الأوربية أن وُلُوجَ لويس دل مارمول كاربخال إلى الشمال الإفريقي كان مع الحملة الإسبانية الموجه لإحتلال تونس سنة **1535م**، بقيادة الملك كارلوس الخامس **(ت 1558م)**[11]، رفقة مجموعة من الفتيان الّذين لا يتجاوزون سن **15** عاما، ولأهداف مستقبلية واستشرافية جوسسية واضحة من قائد الإمبراطورية الرومانية الشرقية المقدسة، بقي مارمول على غرار بقية الصبيان هؤلاء في المنطقة يتعلم اللّغة العربية[12] والقرآن الكريم والأمازيغية خاصة، ليطول مقامه في هذه الرقعة الجغرافية مدة اثنتي وعشرون سنة[13]، وقع خلالها في الأَسر مرتين:

الأولى كانت عند السعديين زمن الأخوين أَحمد الأَعرج **(ت965هـ/ 1557)**[14]، ومحمد الشّيخ **(ت965هـ/ 1557م)**[15]- [16]، والثانية من قبل بيلرباي الجزائر صالح رايس **(ت 963هـ/1556م)**[17] في تلمسان عام **1554م**[18]، فأخذه معه إلى فاس عندما دخلها هذا الأخير في **8 يناير 1554م**، ونصَّب فيها أبا حسون الوطاسي **(ت 961هـ/ 1554م)**[19]، حاكما، وتاركا لويس دل مارمول كاربخال أسيرًا عنده[20].

1.2. رحلاته:

1.2.1. في عدوة[21] المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء:

كانت أولى رحلاته تأسيسا على ما سبق، في إطار الوظائف المخولة له من الملكية الإسبانية، وهي ميزة ستظهر على كلّ مناصبه الّتي حاز عليها تقريبا، حيث كان أولها صوب تونس سنة **1535م**، والثانية حينما بدأ عمله الاستطلاعي في الشمال الإفريقي مرة أسيرا والأخرى طليقا، خاصة في المناطق الّتي كانت تشهد توترا سياسيا أو عسكريا، مدونا بالتفصيل وبالدقة المتناهية "**La Précision**" كل مشاهداته مع تركيزه أكثر على المغرب الأقصى وما يعيشه من مخاض سياسي بين الوطاسيين والسعديين، ومصاحبا لمحمد الشيخ السعدي في كل تحركاته من حملات ومعارك كـ: حملة ودان سنة **1543م و1544م**، وتفزة سنة **1544م**، وفي حملة وموقعة وادي درنة سنة **1545م**[22].

ليتجه الرجل بعد ذلك إلى مصر في سنة **1546م**[23]، وبعدها المهدية الّتي كانت تشهد توَترًا سياسيًا ومرحلة مدٍّ وجزرٍ بين الإسبان وحُلفائهم الحفصيين من جهةٍ والعثمانيين من جهةٍ أخرى عام **1554م**[24]، ويعود أيضا لمستغانم مع نهاية **1557م** وبداية سنة **1558م** في خضم ما عرفته المدينة[25] من ملابسات التطاحن الدولي على مجالها الحيوي ما بين الاسبان والأتراك العثمانيين، ويقفل رحلته راجعا إلى أوربا.

1.2.2. داخل أوربا:

أجمعت أَقلام المؤَرّخين الإسبان أَن أَول ظهور للوِيس دل مارمول داخل أوربا كان في باليرمو أول مرة سنة **1550م**، والثانية سنة **1557م**، وبعد مدة أربع سنوات قضاها الرجل هناك في جيش "**impériales4**" التابع للملكية الإسبانية[26]، تحول في شهر أكتوبر **1562م**[27]، إلى مدريد التي باشر منها رحلاته الأوبية المتتالية[28]، والمرتكزة على المناطق "**Les Zones**" ذات الثقَل البرجوازي والملكي، وبالخصوص منها اتجاه غرناطة ومشاركته في قمع ثورة مسلمي الأندلس[29] بها سنة **1569م**[30].

ولم تتقيد حركيته هذه داخل إسبانيا وحدها، فمنذ سفره للإيسكوريال[31]-[32] عام **1572م**، لطباعة كتَاب إفريقيا، بدأ الرجل يتطلع لقيادة الشؤون الإسبانية الدولية، فتواجد حتَّى في لشبونة عاصمة البرتغال الّتي دخلها عام **1578م**[33]،

في ظرفيةٍ المباحثات السياسية الّتي صاحبت واقعة وادي المخازن[34]، عندما كان مارمول المرشح الأول وخير سفير يقوم بمهمة الوساطة الدبلوماسية بين المغرب والبرتغال الإسبانية إذا ما دُقِّقَت سيرته الذاتية من الناحية العسكرية والمخابراتية.

ذلك ما أقرته تقارير تفيد في تحليل هذه المساعِي وتبيّن دور لويس دل مارمول في استقطاب الرأي العام البرتغالي لصالح إسبانيا ضد أعدائها الأوربيين من الولايات العامة في الأراضي المنخفضة وغيرها، من خلال توصياته للمستشارين الإسبان في البرتغال بضرورة زرع أمجاد العائلة الملكية الإسبانية المعروفة بآل هابيسبورغ[35]، عبر وكلاء إسبان متسللين داخل الأنظمة البرتغالية[36].

وفي باب المنازعات الاسبانية الأوربية، كانت للويس دل مارمول كاربخال عدة رحلات مع فليب الثاني **(ت 1598م)**[37]، داخل أوربا الّتي كانت تعيش الصراع المذهبِي والاقتصادي، ولما كان هذا الملك متعصبا جدا للكاثوليكية عمل على توثيق أواصر التحالف مع المقَر البابوي في روما[38]، في مسعى تزعم أوربا والعالم لصد الزحف الإسلامي العثماني من خلال التَّعبِئة الدينية والدنيوية، وهي الجهود الخفية الّتي كان فيها الرحالة العسكري ضمن الوفد الملكي موجهًا ومرشدًا لقَرارات فليب الثاني[39]، ما تُوج بعد وقت ليس ببعيد بموقعة ليبانتو سنة **1571م**، الّتي تحالفت فيها جيوش أوربا بِأكملها ضد المسلمين وقادتهم الأتراك العثمانيين[40].

1 .3. وظائفه:

بدأ هذا الرحالة مشواره العملي وعمره أَحد عشرة سنة مع أواسط سنة **1535م**[41] - [42] عندما خدم كجندي «**Soldat**» في جيش إسبانيا[43] الّتي استعادت تونس من خير الدين بربروسة **(ت954هـ/1546م)**[44] في السنة نفسها. ولما عاد شارلكان لإسبانيا، ترك وراءه العديد من الجواسيس من بينهم لوِيس دل مارمول كاربِخال، الّذي باشر وظيفته الجوسسية في الشمال الإفريقي في تلك السنة حتَّى غاية رجوعه لإسبانيا وشروعه في بيع وشراء أَراضي المورسكيين بعدما تحصل على امتيازٍ ذلك من القصر الملكي[45]، الّذي قلده كذلك منصب التفتيش العسكري في الجيش الملكي منذ تاريخ **23 جوان 1569م.**

ومع وظائفه الممزوجة بِالرحلات الملكية الرسمية دائما، لم يستحسنه فليب الثاني في سفارة موجهة للمغرب الأَقصى بعد موقعة وادي المخازن عام **1579م**[46]، وسبب ذلك على ما يظهر يرجع لماضي الرجل بالمغرب غير الخادم هذه المرة لمتطلبات وظروف الملكية الاسبانية، الّتي كانت في موقع يستدعي الحصول على التنازلات من السلطان السعدي أحمد المنصور **(ت1012هـ/1603م)**[47]، فتم تبديله بسفارة دبلوماسية أَكثر حظا وأقل شهة بقيادة دون خوَان دي سيلفا[48].

كما وتجدر الإشارة هنا أنه لما فشل مارمول في الحصول على وظيفة السفارة هذه، أصبح على اثرها عاطلا عن العمل إلى أن جاءت سنة **1581م**، فاقتنص في خضمها منصب القَاضي الإداري لمصلحة الضرائب التابعة لأَسقفية مالقَا أثناء انخراطه قبل ذلك بقَليل في حزب ديني ينتمي لتلك الأَسقفية[49] . [50].

هذا ولما تقاعد الرجل وأصبح شيخا مسنّا أضحى لويس يستشار في القَضايا التاريخية والعسكرية الّتي تخصّ المسلمين سواء داخل إسبانيا أو خارجها[51]، وهنا تلتمس المنزلة والمكانة الّتي أَصبح يتمتع بها لدى العسكريّين في مخططاتهم المستقبلية، بل وحتَّى من جانب رجال الدين في تفسير بعض الكتب والوثائق الخاصة بالمسلمين الّتي عُثِرَ عليها في برج توربيانَا سنة **1588م**[52].

2 .4. دينه ومذهبه:

أبرز لويس دل مارمول كاربخال وبالقول الصريح، انتمائه الديني والمذهبي من خلال تحريضه للملوك المسيحيِين الكاثوليكيين على المسلمين **(الكفاركما نعتهم)** في ثنايا كتاب «**إفريقيا**»[53]، وفي النص الآتي عنده هم: «**(...) الَّذين**

يكتسحون بِوقاحة مجد الكنيسة ولا يفتؤون يحاربوننا ويتحَيَّنون الفرصة لتحطيمنا(...)، لخيرِ المسيحية (...) إلاَّ تشجيع الدّول الكاثوليكية على حمل السلاح»[54].

2.5. وفاته:

أكدت الدراسات التاريخية والإسبانية منها على وجه الخصوص والمهتمة بِنشاط جمهور نبلاء عائلة مارمول كاربخال، أَن تاريخ **15 جوان حتَّى 13 نوفمبر 1600م**[55]،الّذي كان يؤخذ به كمعلمٍ لوفاة الرحالة، قد أبطله وخطَّأه وفنَّده بالحجَّة والدَّليل المؤَرّخ الإسباني أُونطوني بوغليش، لما عثر على ما يدعم فرضياته من خلال وثيقةٍ محفوظة بأرشيف غرناطة تحت رقم: «**Leg.2584,Hacienda,A.H.P.G–F865 ,2**»، تُؤرّخ لمَأتَمِ الرجل سنة **1611م**[56] بملقا.

2.6. آثاره الفكرية والعلمية:

ترك لويس دل مارمول كاربخال ثلاث كتب على شكل مجلدات، كان أولها «**كتاب إفريقيا**»[57] المتضمن لرحلاته الميدانية منها أو غيرها في الشمال الإفريقي وافريقيا جنوب الصحراء، والّذي حرر محتواه كتابةً سنة **1571م**، وطبعه ونشره في غرناطة وفي جزئين بعد سنة **1573م**[58]، تحت عنوان: «**إفريقيا ـ L'Afrique**» في نسخته الاسبانية الأصلية، ثم يتخلله عنوان «**تاريخ الشرفاء. Histoire Des Cherifs**» بعدما تمت ترجمته للُّغة الفرنسية[59] . [60].

بالاضافة لمُؤَلَّفٍ آخر تحت عنوان:

«**Historia Del Rebehon Castigo De Los Moriscos Del De Granada**»

أو باللّغة العربية: «**تاريخ تمرُّد الموريسكيين وعقابهم في غرناطة**»، الّذي تم نشره بملقا في مجلدين سنة **1600م**، وهو المصدر الّذي يُشكل مادة دسمة ومهمه في التأريخ لهذه الثورة[61]، وصُورَة جَليَّة تعكس ما عاناه المؤلف خلال مختلف فترات إعداده للكتاب، بل وبَيَّنَت بشكل واضح أيضا أن سبب التأليف كان أساسًا لأغراض شخصية تبحث عن الامتيازات، وتُمهّد من جديد للتقَرب من رجال القصر الملكي الّذين قاموا بعزل الرجل في ظروف غامضة، لتشهد علاقته بهم سنين عجاف مؤقتة، إذ كل مَا أَحَاطَ بوَقَائِع الفترة كما تم إبرازه من قبل، يُبَين أَنَّ طرز هذا الكتاب المُنمَّق والمُمَنهَج لصالح آل هابسبورغ، جاء في ظرفيَّة كان لا يُحسد عليها الرجل، بعدما انقَطعت كلُّ السُّبل الدنيوية في وجهه ما بين **1579م** حتَّى سَنَة **1581م**.

2. قراءات في مشاهد التطبع الاثنوغرافي التلمساني كما لَقطَ وصوَّرَ أخبار أَوصَافِهِ لويس دل مارمول كاربخال (ت 1019هـ/1611م):

أ) مفهوم التطبع البشري: هو كل ما يجده الإنسان موافقاً لهواه وقريباً من نفسه، فيقرر أن يتملكه رغبة في تقمص الأفضل، وفي المسايرة الزمنية والمكانية لحوادث قد يجبر على ممارستها وفق ظروف مرت به ليس له إرادة في تغييرها، جراء بيئة جديدة حصل عليها الإنسان حتَّى وإن لم توافق نفسه ومنظومته القيمية، فيجده ممتعاً من مبدأ المجاراة هذه طوال تواجده في تلك البيئة فقط، سواء كان إنسان يعيش في المنطقة أم رحالة دخل موطنا ما وتفاعل مع خصائصه المعاشية والطبيعية[62].

ب) مفهوم الإيثنوغرافيا: «**وصف الأعراق البشرية**»، مصطلح مشتق من الأصل اليوناني «**إثنوس**»: ويعني الناس والشعب والأمة، و«**غرافيا**»: الّتي تعني الكتابة، وهي في المجمل تهدف منهجيا لتتبع واستكشاف وتقصي الملامح العامة لطبائع الجماعات العرقية وتكويناتهم وتركيباتهم ومواطنهم وخصائص الرفاه والبؤس الاجتماعي والمادي والروحي والتكويني العرقي لديهم...؛ ولذلك فهي تشمل على ضوء كتب الرَّحالة باعتبارهم بشر يصفون ويتأقلمون مع تلك الأوصاف والمشاهد، وعلى أساس ما لقطته أعينهم أو سمعوه من ممن عايشوهم، تاريخا مختصر للتضاريس، والمناخ، والبيئة الطبيعية، والمتغيرات السياسية والاجتماعية، وطبيعة العلاقة القائمة بينها وبين البشر المتأقلم وغير المتأقلم معها[63].

ت) تعريف الرِّحلات الاثنوغرافية: هي رِحلات تهتم بطبيعة عادات وتقاليد السكان ودياناتهم وغيرها من أساليب الحياة بالتأمل والمجاورة والمشاهدة المباشرة، وعليه فهنالك اختلاف بين الرحال والرحالة الاثنوغرافي، فالأول تشكل عنده الرحلة موضوع وهدف، عكس الثاني غير المهتم بالرحلة بقدر اهتمامه بالناس الّذين تعايش معهم وعاينهم في نشاط يومياتهم، فبذلك يكون الوعاء المعلوماتي للرحلة الاثنوغرافية أغزر دقة من الرحلة العادية[64].

ولأدل تجليات ذلك ما كان مع مَن تتبعنا سيرته ومساره الاستثنائي الّذي حتم عليه تدوين مشاهداته بضبط محكم في التقييد وعلى جميع الأصعدة، الاجتماعية كانت أم الاقتصادية والثقافية، وأهمها السياسية والعسكرية، وبطريقة التأثير والتأثر البشري جاءت أوصاف تلمسان في تاريخانية الرحالة الإسباني على الشكل الموالي:

1.2. طبيعة المتغيرات والمستجدات السياسية في تلمسان القرن 10هـ/16م:

1.1.2. انعدام الأمن بالمدينة على اثر تراجع السلطة الزيانية ـ الهاجس الأمني:

تطرَّق لويس دل مارمول كاربخال وهو يؤرخ بالوصف لشعاب المدينة من ناحية الجنوب لأهم متغير وعامل أضحى يُقلق الحاكم والمحكوم، والمتمثل في الهاجس الأمني الّذي كان يمثل احدى المشاكل الأساسية الّتي كانت تعاني منها كل من السلطة السياسية وكذا القوافل التجارية المتجهة للجنوب ومسالكه التجارية، لاسيما منها الّتي لم تتوفر على "**جوازات المرور**" أو "**تصريحات الأمان**"، أين أَصْلَتَ وأَبَانَ الكلام في هذا الصدد طبائع أعراب **صحراء أنكاد**[65] وهو يصفهم كالآتي: "**(...) أعراب هذه الصحراء كثيرون ولا يكترثون إلا قليلا جدا بملوك تلمسان (...) ويتقاضون من الملوك رواتب ليحافظوا على أمن البلاد(...)**"[66].

من جانب آخر، وبحكم الأهمية الّتي كانت تكتسيها طرق التجارة العابرة للصحراء، تفطنت السلطة السياسية لذلك وقامت بإجراءات ولو مرقعة إلى أبعد الحدود بدفع مبالغ مالية للأعراب أو استئجارهم للحفاظ على الأمن بصفة مؤقتة، وهذا ما لم يكن ليغفله ويتراخى عن تقييده حول علاقة الأعراب بالسلطة المركزية، فمنحه حيزا معتبرا حينما كَشَفَ ذلك بالتصريح المباشر: "**(...) وقد اعتاد ملوك تلمسان للحفاظ على أمن المسالك، أن يستأجروا بعض الأعراب بحيث يمكن المرور مدة الصيف كله بأمان(...)**"[67].

تلك الحالة الّتي لم تكن دائمة أو على الأقل تمس جميع قطاع الطرق من الأعراب، فمن زاوية أخرى وإلى جانب معاناة التجار من تسلط الأعراب، كان على الكثير من المسافرين العاديين من باب غياب الأمن هذا وانفلاته، دفع مبالغ من المال لتأمين أنفسهم، وهو ما أَعْلَنَ عنه مارمول كذلك في مواضع عديدة من تأليفه، ومن أوضح أمثلته في ذلك قوله: "**(...) هناك العديد من الأعراب المتنقلين المتسكعين، مهنتهم السلب والنهب في المسالك الكبرى، ومن أجل ذلك يلزم المسافر أن يؤدي مبلغا من المال لأول رئيس جماعة يصادفه (...) حتى لا يُنهب(...)**"[68].

هذا ما كانت عليه أيضا سواحل تلمسان في ناحية الشمال مع سكان **مدينة تبحريت**[69] المجاورة **لهنين**[70]، الّذين حملوا في عيشهم وسايروا ما سايره وحمله غيرهم من سكان السواحل، فالخوف الدائم في غياب الأمن والمتمثل هذه المرة في احتلال سواحل تلمسان من قبل الإسبان هو ما سَوَدَّ له الرحالة الخَطّ وأفاضه عند حديثه عن انعكاسات ذلك على المدن المجاورة لهنين، الّتي نهبت هي الأخرى من قبل الإسبان سنة **1533م**، وأصبحت تابعة لهم منذ هذا التاريخ، وفي شأن ذلك عنده قوله: "**(...) سكان مدينة تبحريت، فقراء كانوا يعيشون في خوف دائم عندما احتل الإسبان هنين (...)**"[71].

2.1.2. تلمسان بين ثلاثية القوى التركية والإسبانية والسعدية:

لقد وَكَّدَ لويس دل مارمول كاربخال مساعي عروج بن أبي يوسف يعقوب **(ت 924 هـ/ 1518م)**[72] في بسط نفوذ الأتراك على تلمسان، مركزا على الإستحكامات العسكرية وأبراجها، والطرق والحيل الّتي اتبعها الرجل في سبيل تقويض السلطة الزيانية الحاكمة بها والموالين لهم من السكان بشيء من الإسهاب والتدقيق المُمَنهَج، وفيما يلي عرض مقتضب لما قدمه وكَاشَفَه بقوله: "**(...) ودخلها بعدما أغلق سكان تلمسان أبوابها، (....) لكن الآخرين الذين استقدموه (...)**

أسرعوا في الحين وأثاروا الشعب باسم الأمير الشاب(...) وادخلوا بربروسة الى المدينة بعد أن طالبوه، (...) وفي يوم من الأيام تظاهر (أي عرُّوج) بأنه يريد الأمير ليودعه ويعود إلى الجزائر، لكنه قبض عليه وعلقه في اليوم نفسه مع أبنائه السبعة على أعمدة الرواق، حيث شنقوا بقماش عماماتهم، (...) وأعلن نفسه ملكا على تلمسان، (...) ثم ذهب يستولي على باقي المدن، وتفرغ لذلك بعض الوقت إلى أن طرد من تلمسان، وقتله مارتين أركوط»[73].

وراح الإسباني بعد ذلك لا يواري ولا يتغاضى عن أي شيء مرتبط بأحوال تلمسان السياسية، وخاصة فيما يتَعلَّق بتَغَيُّر موقف السكان من الأتراك حينما استنجدوا بالإسبان، فكتب وكأنه يجاهر بالقلم في بَوْحٍ مُتميِّز يبدي من خلاله أناه المتفاخر الّذي يرسم شرعية دخول الإسبان للمدينة فيقول: «**(...) نظرا للكراهية الّتي يكنها السكان للأتراك، (...)تقدم جيش الإسبان آتيا من أرشكول**[74] **(رشقون) دون أن يعترضهم أحد(...) وحينما وصلوا للمدينة فتح لهم السكان الأبواب، وتحصن بربروسة في القصر، حيث حوصر(...)وبعد دفاع شديد فَرَّ بربروسة ومن معه من الأتراك بسبب نفاذ المؤن(...) إلى أن قتله القائد الإسباني وعين مكانه ملك زياني آخر(...)**»[75].

لتمسي المدينة بعد مقتل عروج في مدٍ وجزرٍ بين الإسبان وقائدهم دالكوديت من ناحية، والأتراك العثمانيين والسعديين من ناحية أخرى، إلى أن تمكن الأتراك من بسط سلطتهم نهائيا عليها، وهذا ما قيَّده مارمول وهو يجوب المدينة على ما يبدو سنة اعتقاله فيها من قبل صالح رايس كما تم كشفه سابقا، ومن دون تفاصيل تذكر قال في تراجع نفوذ الإسبان عن المدينة: «**(...) فأثاروا ضد القائد الإسباني الأعراب والسكان وأرغموه على الفرار مع حاشيته وأسرته إلى وهران (...)**»[76].

وميزة عدم التوسع هذه في ذكر ملابسات انهزام الإسبان وكَتم وحَجب وقائعها تتكرر في كل مناسبة عسكرية في رحلة مارمول، وهو شيء طبيعي باعتبار الرجل عسكري من الجيش الإسباني يأنف حقيقة الإنهزام.

كما أنه لم يهمل مساعي السعديين ومشروعهم الرامي لضم تلمسان تحت سلطتهم وفشلهم في ذلك، فذكر يقول في هذا الجانب: «**(...) ولما استولى الشريف محمد على فاس أرسل ابنيه لإحتلال تلمسان، لكن الأتراك طردوهما(...)، وأخيرا بقيت هذه الإمارة بين أيدي الأتراك الّذين مازالوا يملكونها أو معظمها على الأقل حتى اليوم**»[77].

2.2. التطبع الاقتصادي التلمساني:

1.2.2. دور الأتراك العثمانيين في إعادة الأمن للمناطق الزراعية التلمسانية ذات المسالك والمراكز التجارية:

لعل أَوَّل ما قام به الأتراك العثمانيين في خضم محاولاتهم المتسلسلة والرامية لبسط سلطانهم على تلمسان ومدنها وأريافها منذ عام **925هـ/ 1517م**، هو العمل بجدية في تحصين المراكز التجارية والطرق الرابطة بينها، لإظهار سيادتهم على هذه المسالك من جهة، ولما تلعبه هذه الأخيرة من أهمية بالغة في النشاط الإقتصادي من ناحية أخرى.

حينما أولوا اهتماما كبيرا لهذه القواعد والمحاور التجارية العابرة للصحراء، وهذا ما قيد أخباره مارمول عن قصر **تمزيزدكَت**[78] ذات الميزة الزراعية والمركز التجاري المهمة نحو جنوب الصحراء وبقية المراكز المجاورة له، إذ يقول عنه: «**(...) البلاد صالحة جدا للقمح، وفيها مراعي كثيرة وأعراب كثيرون(...)، استحوذ عليها الأعراب عند مجيئ الأتراك (...) ثم حصنها الأتراك منذ ذلك العهد وأقاموا بها حامية**»[79].

2.2.3. الحلول المتبعة من قبل التلمسانيين لتدليل الظروف الطبيعة القاسية:

في ظل التأقلم الحاصل بين الإنسان وبيئته المتطبع بطبائعها والمُسَايِرِ لمتغيرات أحوالها، قدم الرحالة مشاهد مفصلة للكثير من الحلول الّتي اتبعها التلمسانيون في تجاوز مشكل ندرة الأقوات المرتبط في بعض الأحيان بقساوة الطبيعة، أو لقلة الأراضي الصالحة للزراعية، ففي معرض حديثه عن سكان **ندرومة**[80] وطبائعهم المعاشية، يبرز ذلك ويقول: «**(...) يصنع سكان ندرومة العسل من أشجار الخروب الموجودة في الجبال المجاورة لها (...) يأكلونه طول السنة مع اللحوم (...)**»[81].

وبناءا عليه، ولإن صرَّح الرجل من خلال وصفه هذا بوجود كمية كبيرة من الخروب واللحوم الّتي حُولت كبديل غذائي في ظل الظروف القاسية تلك، إلا وأنه وبصيغة التضمين يُلمِّح لقلة الأقوات الأخرى أو ربما حتَّى لإنعدامها، ولعل أصرح صورها فيما دَلَفَ عليه السكان في سبيل التأقلم هذا، ما نَبَّهَ له الرحالة في مجمل حديثه عن سكان زناتة ونشاطاتهم المهنية المرتبطة بطبيعة المنطقة غير الصالحة لإنتاج الحبوب، حين ورد ذلك عنده بالنص: «**(...) أكثر غذاء سكانها من الخروب ولحوم الأغنام الّتي يملكونها بأعداد كثيرة، لأنها جبل منحدر وعر لا يطيب القمح في تربته(...)**»[82].

3.2. الإطار الاجتماعي المنظم للصناعة:

شكلت الصناعة في مجتمع تلمسان ومُدنه وحتَّى أريافه أساس الإقتصاد لدى أفرادها، سواء المعاشي منه أو الموجه للتصدير، وهذا ما يظهر في العناية الفائقة الّتي جعلت منها السلطة المركزية الزيانية كأحد أهم أولوياتها، بحيث يظهر ذلك واضحا من كلام الرحالة وهو يصف مركز **مدينة تلمسان**[83] ونسيجه المعماري ذي المَنشَأ الاقتصادي، بقوله في هذا الشأن: «**(...) دكاكين صناعتها وتجارتها مرتبة (...)**»[84].

ضف إلى ذلك عدم اغفاله لخاصية الصناع وطبائعهم الظاهر منها والباطن، فيقول: «**(...) والصناع أناس بسطاء لطفاء، يعتزون بأنهم يعملون بأدب واتقان (...)، يعيش العمال عيشة راضية من كسبهم قوتا وتسلية**»[85]، وكذا عن جودة الصناعة بها، أين كتب يقول: «**(...) يعملون هناك أقمصة وزرابي فاخرة، ومعاطف صغيرة وكبيرة رفيعة جدا فضلا عن طقوم فاخرة للخيل، ولجم هو أجمل ما يصنع من رؤوس اللجام في افريقيا(...)**»[86]، ويزيد في باب ذكر الجودة الصناعية في صدد حديثه عن مدينة ندرومة، فيتكلم قائلا: «**(...) يصنع أهل ندرومة أجمل ما في بلاد البربر كلها من أقمشة القطن (...)**»[87].

إلى جانب ذلك، وفي موضع آخر من الوصف، وجدنا الرحالة الإسباني يقدم وصفا يحمل مظهر التطبع البشري التلمساني بشكل جلي، حينما أقحم مصطلح "**الطباع**" المصرح به من قبله بوضوح، في قوله عن سكان **بريشكار**: «**(...) سكانها غلاظ الطباع يشتغل معظمهم بصناعة النسيج من النوع الخشن (...)**»[88]، وهذا ما تؤكده النظرية الخلدونية الّتي ربطت علاقة ما يظهره الإنسان من مميزات أي ممارسة طبائعية كانت، ستترجم لا محال صفاته الجسدية أم الروحية.

ولم يتوان أيضا مارمول عن ذكر الصناعة التحويلية التقليدية منها أم الحديثة، ومثل ذلك عنده فيما ذكره عن كيفية تحويل بعض المحاصيل الزراعية عبر طرق تقليدية بمركز المدينة، فكتب يقول حول هذه النقطة بالذات: «**(...) وكروم كبيرة تحمل عنبا حلوا لذيذ الطعم جيدا، يجفف في الشمس ويحفظ السنة كلها(...)**»[89].

هذا ويُضِيفُ في اشارة عابرة لقواعد طحن وتحويل الحبوب وأماكن تواجدها، قائلا: «**(...) وتوجد على بعد فرسخ من المدينة عدة طاحونات للحبوب على ضفة النهر. نهر الصاف صاف**»[90].

4.3. الإطار الاجتماعي المنظم للتجارة الداخلية:

وبالنظر إلى نمو النشاط الفلاحي والصناعي هذا، كان ولابد أن تنشط الحركة التجارية هي الأخرى، وذلك ما كان حينما شهدت مثلا مدينة ندرومة على غرار المدن الأخرى ازدهارا ونشاطا معتبرا لافت للإنتباه على مستوى التبادلات التجارية الداخلية، عبر عنه مارمول قائلا: «**(...) جلهم تجاريتاجرون في الجزائر وتلمسان (...)**»[91].

هذا فيما يخص الصناعة الموجهة للتصدير، إذ لم تكن المحصولات الفلاحية من الأرياف هي الأخرى بمعزل عن التصدير الداخلي والّذي اعتنى به مارمول عناية كبيرة ومتميزة، حينما قال عن سكان **جبل بني ورنيد**[92] بأنهم: «**(...) يتاجرون مع مدينة تلمسان بثمارهم(...)**»[93]، والقصد عنده من ذلك مركز المدينة وطبيعتها الاقتصادية النشطة والمحورية، والّتي خص لها كلاما مستفيضا للتنظيمات التجارية الداخلية الّتي كانت مشاهدها متنوعة عنده؛ ارتأينا منها ما يفي بالغرض حول وضعية التجار الّذين دخلوا إليها كأجانب، أين أورد الرحالة أخبارهم في سياق العدد الكبير من

الفنادق الّتي كانت تأويهم ليلاً، حيث يقول فيما يستنبط منه التنظيم المحكم للأجهزة الاقتصادية والاجتماعية التلمسانية، ما نصه: "(...)**أضف إلى هذا فنادق عديدة (...)، يقيم فيها التجار الحاصلون على جواز الاتجار(...)**"[94].

3.5. الإطار الاجتماعي المنظم للتجارة الخارجية:

إلى جانب ما أشار إليه الرحالة فيما يتعلق بأصحاب المهن وأعمالهم الداخلية، قدم بالاضافة إلى ذلك أوصافًا بالغة الأهمية فيما كانت عليه أحوال التجارة الخارجية، وطبيعة العلاقة الّتي جمعت تُجار مركز مدينة تلمسان بغيرهم من الدول والأمم، على اختلاف خصائص مجتمعاتها في ألسنتها وديانتها وقيمها عبر المحور الجنوبي، فيقول متحدثا عن ازدهار تجارتها وانتظام تُجَّارها في طبائعهم السلوكية: "**(...) وطائفة التجار(...)، هم أناس طيبون، أوفياء في تجارتهم، معتزون بالنِّظام والحضارة وحسن التدبير، مهذبون مع الأجانب، وأهم تجارتهم في غينيا كل سنة، ويأتون منها بالتبر والعنبر والمسك ورقيق السود(...)**"[95].

ذلك ما لم يُهمله كذلك عن المحور الشمالي الخارجي لتلمسان أيضا، في مقام حديثه عن ميناء مدينة **هنين** وأهميتها الإستراتيجية الّتي تحتلها منذ القدم، فأيَّد بالمشاهدة كلام العديد من المصادر الأخرى الّتي كشفت طبيعة العلاقة القائمة بين التجار التلمسانيين والسفن التجارية التابعة للبندقية الّتي كانت تحل كل سنة على سواحل المدينة، لما تكلم وقال أنَّ: "**(...) سفن البندقية تنحدر إلى مدينة هنين كل سنة(...) فكان تجار تلمسان يذهبون إليها ليتعاملوا مع تجار البندقية(...)**"[96].

3.6. مظاهر التطبع التلمساني الاجتماعي:

كما وتحتوى مشاهد هذه الرحلة على ذكر مفصل لمظاهر اجتماعية مختلفة، بما فيها طبقات المجتمع وطقوسه واحتفالاته وعاداته وتقاليده من ملبس وأطعمة وغيرها...، مؤرخة للوضع الاجتماعي التلمساني الّذي أولى له مارمول الوصف الكثير، وجاء معظم حديثه منصبًا في وصف البشر وممارساتهم اليومية فيما اعتادوه واعتادوا عليه، ومدى تأثرهم بالمستجدات الّتي طرأت على المدينة وطبعتها في هذه الفترة الانتقالية من تاريخها العتيد، ولنا من أمثلة ذلك عنده الشيء الكثير، وأصرحه وأوضحه في قوله أنَّ: "**(...) لباس تلمسان أكثر أناقة(...)، وهو من نسيج الصوف والكتان والحرير، إنهم محترمون (...) ومنذ قليل أخذ الصناع يرتدون لباسا على نمط الأتراك افتخارًا(...)**"[97].

فلئن أمدنا الرحالة هنا بنعوت تَنِمُّ عن تحضر أهل تلمسان في جانب الملبس الراقي الّذي يعكس أصولهم وارتباطهم بها، إلا أنه بذلك يدق ناقوس التطبع البشري ونظرياته المتأثرة بعادات وتقاليد الأقوى في زمان المُؤثِّر والمُتَأَثِّرِ، والّذي كان الأتراك مظهرا له وقت بسطهم لشوكتهم على المدينة وابن خلون مؤرخ التطبع الاجتماعي مُؤصِّلاً له منذ القرن **9هـ/15م**، وبالنص يفسر فيلسوف التطبع التاريخي ويبين فيما هو آتٍ ما لقطه مارمول في القرن **10هـ/16م**، فيقول: "**(...) في أن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده(...) والسبب في ذلك أن النفس أبدا تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه(...)**"[98].

واصل مارمول وصفه لسكان مدينة تلمسان وطبائعهم الّتي جُبِلُوا عليها بطريقة الوصف التأريخي المقارن "**L'historiographie Comparative**"، مركزا على الوصف **الإثني** ما بين سكان تلمسان وفاس أو ما يعرف اليوم بعلم الإثنوغرافيا، باعتباره مكث عند الفاسيين أكثر من سنة والّتي تعتبر هنا بحق قاعدة تتحول على اثرها معلومات الرحلة من كونها وصفا معرفيا إلى اثنوغرافية مؤسسة على المعاينة المباشرة.

إذن هي المعايشة المثمنة في مضمار التأريخ لطبائع السكان بتلمسان وهو يقارن بمثيلتها في فاس خلال القرن **10هـ/16م**، ومضامين ذلك وسياقاته تتكرر تقريبا في كل سطور مؤلفه، وفي الآتي مقتبس فيما قاله حول هذه المواضيع: "**(...) تنظم الأعياد والولائم والأعراس على نحو ما يوجد بفاس(...)**"[99].

دائما بالمقاربة المنهجية المقارنة نفسها، شق الرحالة دروب الوصف الخاص ببعض المنشآت المعمارية كالحمامات التلمسانية، فكتب يقول في شأنها: "**(...) توجد بالمدينة عدة حمامات لكنها غير مجهزة بوسائل الراحة مثلما هي عليه حمامات فاس، ولا بنفس القدر من الماء(...)**"[100].

3.7. التطبع التلمساني الثقافي:

لم يفرد لويس دل مارمول كاربخال إلا حيزًا ضيّقًا وعاريا من التفاصيل في وصفه للجوانب الثقافية بتلمسان بالرغم من معاصرته لفترة مهمة من تاريخها الانتقالي الحديث.

فاقتصر بذلك على بعض المدارس وأساتذتها بصفة مقتضبة وهزيلة في المعنى والمضمون، وحتَّى في الشكل العام الّذي كانت عليه هذه الحاضرة العلمية قبل وأثناء دخوله إليها، ولم يستوفي في سبيل ذلك إلا اشارات طفيفة وعابرة، حيث راح يقول في وصفه الضحل الّذي تعوزه الغزارة المعرفية في منشآتها الدينية والمرتبطة برجال الثقافة وأهلها ما نصه: "**(...) ويوجد عبر المدينة كلها عدد كثير من المساجد الفخمة(...) وهي مجهزة بجميع ما يلزم(...) علاوة على خمس مدارس رئيسية مزخرفة من إنشاء بعض ملوك زناتة(...)**"[101]، هذا دون أن يمدنا بأسماء المساجد وأنواعها، ولا المدارس وأسمائها، ولا ذكرا حتَّى للمباني الدينية الأخرى الّتي كانت موجودة حتمًا بمركز المدينة وخارجها على حسب بعض المصادر المعاصرة له.

ويضيف دائما عن الملامح الثقافية بتلمسان وتجلياتها، بوصف عرضي وفي إلماعة خفيفة لما كان عليه حال رجال العلم والمصادر والموارد المالية الخاصة بهم ولمؤسساتهم العلمية، فيقول عن الطلبة: "**(...) ولها دخل للانفاق على عدد من الطلبة الّذين يقيمون بها(...)**"[102]، وعن الأساتذة: "**(...) كما هناك عدة أساتذة في مختلف المدارس، يقومون بالتدريس كل يوم ويؤجرون من أوقاف هذه المؤسسات(...)** "[103]، وأضاف يقول عن أنواع العلوم المُلَقَّنَة من طرف هؤلاء في شقيها العقلي والنقلي في تلك المدارس: "**(...) ويدرسون على أساتيذ جميع العلوم الطبيعية والأشياء المتعلقة بدينهم(...)**"[104].

وعلى أي حال، فإن ما حملته أوصاف مارمول عن تلمسان في جانبها الفكري والعلمي هذا ولو قليلا كان، فهو إشارة طيبة في ظل ندرة المصادر الّتي تحدثت عن تلمسان الثقافية في هذه الفترة الزمنية بالذات.

الخاتمة:

انطلاقا من هذا العمل التحليلي لكتاب لويس دل مارمول كاربخال والقراءة الاستنتاجية المتأنية، استخلصنا بعض النتائج نوردها فيما يلي:

- تعتبر عائلة مارمول كاربخال من بين العائلات البرجوازية الّتي خدمت الملكية الإسبانية سياسيا وعسكريا وعبر مختلف المراحل التاريخية، كان أبرز أفرادها لويس دل مارمول كاربخال الذي سار على درب أجداده في اقتناص المناصب والامتيازات من القصر الملكي الإسباني، من وظائف ورتب وأوسمة كوسام الفارس النبيل الّذي لبسه كل أفراد هذه الآصرة الأسرية والمتواجدة في كل أرجاء إمبراطورية هابسبورغ.

- تندرج رحلة لويس دل مارمول كاربخال ضمن الوظائف الرسمية المخولة له من قبل الملكية الاسبانية، وأنها لم تشكل عنده الأساس والهدف بقدر ما كانت عنده معايشة الناس واستكشاف نمطية معيشتهم وخصائص حياتهم، ما جعل مضان هذه الرحلة ترقى للرحلات الاثنوغرافية التي تبحث وتتبع مباشرة وباهتمام خصوصيات الآخر، وتقيد علاقات البشر وافرازات طبائعهم المتأثرة بالظروف المحيط بهم والمستجدات الواردة إليهم عبر الزمان والمكان؛

- قدم الرحالة في سطور مؤلفه معلومات مفيدة وقيمة ونادرة عن حاضرة تلمسان مع بدايات الفترة الحديثة، لم نجدها إلا عند الحسن بن محمد الوزان، وفي بعض الأحيان انفرد مارمول بمشاهد عن مجمل نواحي الحياة المختلفة بما

فيها من تاريخ وجغرافية وسياسة واقتصاد واجتماع وغيرها، لم ترد عند الوزان كما وضحنا ذلك بتقديم النماذج المقتبسة من مؤلفه وعرضناها بالتحليل والتقصي والتقييم؛

ـ اعتنى مارمول في وصفه وهو يُؤرّخ لمملكة تلمسان كما سماها بكل الجوانب الحياتية والمعاشية تقريبا، لكن وبحكم تكوينه العسكري والمهمة الخاصة المنوطة له في تلك الظرفية الدولية، نَزَعَ القلم الإسباني هذا مَنزَعا أظهر بواسطته ميلاً واهتمامًا كبيرًا للجانب السياسي والعسكري على حساب غيره من الجوانب الأخرى، خاصة لما دُقِّقَت سيرته الّتي أظهرت منه الرجل المتعصب لأناه الديني والدنيوي عند ساسته الإسبان، وهو ما جعل كتابته الوصفية تلتفت كثيرا للمشاهد السياسية والعسكرية، عكس الجوانب الثقافية مثلا التي جاءت مقتضبة وضحلة في الشكل والمضمون؛

ـ ولكن ومع ذلك، فقد رسم لنا الرحالة من خلال رحلته للجزائر وتلمسان خاصة، الصور الكبرى للتطبع البشري التلمساني وتفاصيل أوصافه، بنصوصٍ مسَّت تقريبًا كل مدن هذه المملكة وأريافها، وبعمق في الوصف وغزارة نسبية ومتباينة في عرض المعلومات والمعطيات، وبطرق ومناهج وأساليب مختلفة مرتبطة بما شاهده وتَأثَّر به، فجاءت رحلته ووعائها المعرفي من تمظهرات التطبع البشري التلمساني خلال الفترة الانتقالية مع أواسط القرن **10هـ/16م**.

الهوامش:

(1) **لويس "Luis":** جاء في الموسوعة العربية العالمية انّ اسم لويس يعني عند الأُوربيين عامة بِـ"**المحارب الشَّهير**"، أي البطل الّذي لا يقهر، وهو اسم ثقيل في المعنى؛ حيث تَسمّى بهذا الإسم معظم الملوك الفرنسيين، فلإسم ذا شهرةٍ كبيرة في فرنسا خاصَّة وأُوربا عامَّة. ينظر: (موسوعة)، (1996م)، **الموسوعة العربية العالمية**، (ج21)، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ص 233.

(2) **دل:** مثل "**el**" و"**de**" في اللُّغة الفرنسية، وادراجها من باب الادغام والافتخار لا غير. ينظر:

Corriente (F), (1970), **Diccionario Español Arabe**, Instituto Hispano – Arabe De Cultura, Madrid, P. 140

(3) **مارمول "Marmol":** يعني اسم مارمول بالإسبانيَة "**معدن المرمر، أَي الرخام**". ينظر:

ibid**,** P. 302.

(4) **كاربخال "Carvajal":** اسم إسباني الأَصل مأخوذ من اسم خشب **شجرة البلوط**، وينطق الاسم باللُّغة الفرنسية "**كارفجال**". وهوَ اللقب الثّاني للويس دل مارمول. ينظر الرَّابِطين الإلكترونيين التَّاليين:

<es.**thefreedictionary**.com/carvajal>
<https://**definiciona.com**/carvajal>

(5) Thomas (D), Chesworth (J), (2014) , **Christian - Muslim Relations . A Bibliographical History**, **Western Europe (1500-1600),** (V.6) , Leiden , Boston , P.P. 283 – 298.

(6) **بيدرو دل مارمول (1499م. 1582م):** والد لويس دل مارمول كاربخال، ولِد بِمدريد سنة **1499م**، وهو الابن الأصغر من ضمن أربعة أولادٍ، **للورينزو دل مارمول**، الّذي كان يشتغل منصب الكاتب الشرعيُّ في غرفة التصوير الخاصة بِالقصر الإسباني. لتفاصيل أكثر ينظر :

Javier (C), (2014), "**La Historiografia Espanola Del Siglo XVL, Luis Del Marmol Carvajal Y Su Historia Del Robelion Y Castigo De Los Moriscos Del Rieno De Granada**", (Memoria Presentada Para La Obtencion Del Titulo De Doctor), Universided De Granada, P. P. 69–84 .

(7) Puglisi (A), (2008), **La Historia Del Râblions Y Castigo Del Los Moriscos De Luis Del Marmol Carvajal "** , Investigations Historicas , University Of Lowa , Valladolid , Vol 28 , P . 142 .

(8) ibid, P. 174 .

(9) Luis (M), **Historia Del Rebehon Castigo De Los Moriscos Del De Granada**, Segnnda Impression, Madrid, Antonio De Sancha Mdccxvll, 2 Vol, En ' Mayor , P. 174 .

(10) ibid, P. 174 .

(11) **كارلوس الخامس (ت 1558م):** ملك إسبانيا وإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدس، توّج ملكاً لإسبانيا باسم كارلوس الأول وملك إيطاليا والنمسا، كان كارلوس الخامس أو كما هو معروف أيضاً باسم **شارلكان** من كبار ملوك أوربا القرن **16م**، فقد كانت مساحة أراضيه عندما كانت امبراطوريته في ذروة مجدها أكثر اتساعا من أراضي أي ملك سابق، تشمل إسبانيا وكل ممتلكاتها فيما وراء البحار في أميركا الجنوبية، والمكسيك والشرق، والولايات العامة **(هولندا)**، وألمانيا، ونابولي، وكانت حياته العملية حافلة، وحروبه ناجحة في أغلب الأحيان، وفي أواخر حياته تنازل عن العرش موزعاً ملكه بين أبنه **فيليب الإسباني وأخيه فرديناند**، وفي نهاية الأمر انسحب للتعبد في أحد الأديرة سنة **1557م**. ينظر:

Bartolomé (B), (1982), **Un Siècle D'or Espagnol 1525 – 1648**, Edition Robert Laffont, Paris, P.P 56 – 120.

)12(De Feller (F), (1839), **Dictionnaire Historique Des Hommes Qui Se Sont Fait Un Nom**, Nouvelle Edition, T 4, Bessancn Outhenin Chalandre Fils Editeur, Paris, P. 349.

)13(Archivo De La Etiqueta : "**Antropología Social Y Cultural En La Uned Luis Del Mármol Carvajal Y Su Descripción General De África**", [En Ligne] , Mis En Ligne Le 19/10/2015 , Consulté Le 29 Mars 2017, Sur L'URL: < http : // www , qmundo . com / ? p = 301>

(14) **أبو العباس السعدي المعروف بأحمد الأعرج السعدي بن محمد بن محمد الحسني (ت965هـ/ 1557):** من مؤسسي الدولة السعدية، تولى ولاية العهد سنة **918هـ/1510م**، وخلف أباه القائم بأمر الله وبويع سلطانا للمغرب سنة **923هـ/1515م**، وظفر في حروبه مع البرتغاليين بأحواز **تيلمست وآسفي** وغيرهما، فأطاعته بلاد السوس كلها، وكاتبه أمراء **هنتانة** من مراكش يدعونه إليها، فدخلها في حدود سنة **930هـ/1522م**، ولما اتسعت المملكة السعدية في الجنوب، اختلف الأخوان الأعرج ومحمد الشيخ الوزير المستخلف بالسوس، فانفرد هذا الأخير بالملك **946هـ/1538م**، وزج بأخيه الأعرج في السجن. ينظر: (مجهول)، (1994)، **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، تقديم وتح: عبد الرحيم نيحادة، دار تيمنميل للطباعة والنشر، مراكش، ص ص 58 . 78.

(15) **أبو عبد الله محمد الشيخ السعدي (ت965هـ/ 1557م):** هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن علي بن مخلوف بن زيدان، حكم ما بين **1540م و1557م**، قضى على الوطاسيين سنة **1554م**، ويقوم بتوطيد دعائم ملكه وتأمين البلاد من قطاع الطرق على السواحل في خضم حملاته المتعددة على الجنوب والغرب والشرق، كان محمد الشيخ عالما وأديبا وحافظا، قتل من قبل الأتراك العثمانيين سنة **965هـ/ 1557م**، ودفن بضريح السعديين. ينظر: مجهول (مجهول)، **المصدر السابق**، ص ص 58 . 78.

)16(Encyclopedie Imago Mundi , " **Marmol Y Carvajal (Luis)",** Encyclopedie En Ligne, Consulté Le 09 Avril 2017, Sur L'URL : <http://www.cosmovisions.com/Marmol.htm>

(17) **صالح ريس (ت 963هـ/1556م):** أمير البحر، وباي لارباي أيالة الجزائر، أجمع المؤرخون على أن أصل صالح ريس هو عربي من الإسكندرية، تعرف إلى الأتراك حين قدومهم إلى مصر، ورافق البحار عروج و خير الدين بربروسا في رحلاتهم، تعلم فنون الحرب والبحرية في سن مبكرة، من أهم اعماله مساهمته في انقاد بقايا المسلمين في الأندلس، فمنح لقب **بكلربك** أو **باي لارباي** أي **أمير الأمراء**، وهو لقب يخول لصاحبه أن يُصدر الأوامر إلى باشا تونس وطرابلس والجزائر، لتولى منصب حاكم الجزائر في عام **1552م**، فأتم فتح بجاية عام **1555م**، من الإسبان، وقضى على التمردات في المغرب الأقصى ودخل فاس في عام **1554م**، توفي صالح رايس مصاباً بالطاعون وقد ناهز **السبعين عاما** في سنة **963هـ/ 1556**. ينظر: مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، (ج3)، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ص ص 73 ـ 89.

)18(Puglisi (A), **op, cit,** P. P. 144 – 146.

(19) **أبو حسون علي بن محمد الشيخ الوطاسي (ت 961 هـ/ 1554م):** آخر سلطان للمغرب من الوطاسيين، حكم سنة **1554م**، لما فر السلطان محمد الشيخ السعدي من فاس إلى مراكش واستقر بها وصرف عزمه لقتال أبي حسون، فأخذ في استنفار القبائل وتعبئة العساكر والأجناد الّذين نهض بهم إلى فاس، فخرج إليه السلطان أبو حسون في رماة فاس وما انضاف إليهم من جيش العرب، فكانت الهزيمة على أبي حسون الّذي رجع إلى فاس وتحصن بها، لتقدم محمد الشيخ السعدي ويحاصره بها إلى أن ظفر به، فقتله واستولى على حضرة فاس وصفا له أمرها. ينظر: عبد الكريم كريم، (2006)، **المغرب في عهد الدولة السعدية ـ دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية ..** منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، ص ص 56 . 155.

)20(Javier (C), **op, cit,** P .P. 69 – 80.

(21) **العدوة:** مصطلح يقصد به في اللغة المكان المرتفع، وهو مصطلح يطلق على ضفتي كل مجال يفصله مجرى مائي، فوجدت العدوة المغربية الّتي يقصد بها تونس والمغرب والجزائر والعدوة الأندلسية لما يفصل بينهما من ماء البحر الأبيض المتوسط. ينظر حول الموضوع: المعلمة، (1989م)، **قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى**، (ج18)، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، ص 6006.

)22(Dzubinshi (A), (1972), "**L'armée Et La Flotte De Guerre Marocaines A L'époque Des Sultans De La Dynastie Sadienne",** Revue Hisperis Tamuda, (V. XIII) , P .P . 61 – 64 .

)23(Javier (C), **op, cit**, P. 102.

)24(ibid, P. 102.

)25(ibid, P. 102.

(26) انفَـرد الباحـث الإسـباني **رامـوس سانشِّـيز** بـبعض الوثـائق الّتي تثبـت أنّ لـويس دل مـارمول قـد انخـرط خـلال اقَامتـه في ايطاليـا في جيـوش "**impériales4**"، وعنـدما بـدأت مناوشـات مسـلمي الأَنـدلس، كـان على الملـك فليـب الثـاني القيـام بتعبئَـة جيشـه، فجلـب ثلثي المشاة الإسبانية من الأَراضي الإيطالية، بقيادة الدّون **لويس ريكِّيزيو ومارمول كاربخال**. ينظر:

Sanchez (R), (1996), "**El Mejor Cronista De La Guerra De Los Moriscos: Luis Del Mármol Carvajal**", Sharq Al - Andalus , N° 13, P. P. 235 – 255.

(27) لما عـاد لـويس دل مـارمول كاربخـال لإسـبانيا، تـزوَّجَ **بمـاريـة أورتيز** الّتي أنجبت لـه بِنتين، **ماريـة دل مـارمول كاربخـال وإنـاث دل مـارمول كاربخـال**، وتزوجت الأولى **جِيان دو ألاغقـون**، والثَّانيةُ **أَلونصـو مالـدوادو**، والغريـب في الأَمر أن العائلة الصغيرة للـويس دل مارمول كاربخال تتوقف عند هاتين البِنتين. للمزيد ينظر : Javier (C), **op, cit**, P.P. 69 – 80

(28) Puglisi (A), **op, cit**, P. 146.

(29) **ثورة مسلمي الأندلس (Rebelión de las Alpujarras)، (1568م .1571م):** هي ثورة قام بها مسلمي غرناطة الّذين أجبروا على التنصر بعد سقوط مملكتهم منذ سنة **1492م**، كانت أسبابها متباينة ومختلفة أهمها سياسة التسلط الديني منذ اعتلاء فليب الثاني عرش إسبانيا، والتحالف الخفي مع أتراك الجزائر، ومع ذلك لم ينجع مسلمي الأندلس في ثورتهم هذه بعد نجاح الإسبان في قمع الثورة عام **1570م**، بقيادة فيليب الثاني و تشتيت شمل **80** ألفًا من مورسكي غرناطي في أنحاء متفرقة من مملكته لتفتيت وحدة المجتمع الموريسكي وتسهل بذلك عملية دمجهم في المجتمع المسيحي، إلا أن العكس هو ما حدث، إذ كان لمورسكي غرناطة المهجرين تأثير كبير في المورسكيين الّذين سبقوهم بالتوطن الإجباري في المناطق التي نُقلوا إليها، والّذين كانوا على وشك الإندماج فعليًا في تلك المجتمعات. ينظر:

(30) Vincent (B) , (2009), " **La difficile convivance** ", Cahiers de la Méditerranée [En ligne], mis en ligne le 16 juin 2010, consulté le 02 octobre 2016, Sur L'URL :
< http://cdlm.revues.org/4943 >

(31) **الإيسـكوريال:** اشـتق الإسـم من اللفـظ الإسـباني إسـكورياس **(Escorias)** أي مخلفـات **المعـدن المصـهور** الـدال على الحديـد لوجـود المتحف في موقع أقدم مناجم الحديد في إسبانيا، ويعد من أهم المنجزات الحضارية لفيليب الثاني، يتكون من مجموعة مباني كالقصر الملكي، والـدير، والكنيسـة، والمعهـد الـديني، والمتحـف، وعـدد من الأبنيـة الصـغيرة، ويصـنف من أهـم الصـروح الملكيـة في أوربـا لضخامتها ومحتوياتها الفنية ومكتبتها الشهيرة. ينظر:

(32) Javier (C), **op, cit**, P.P. 49 – 100 .

(33) Puglisi (A), **op, cit**, P. 149.

(34) **معركة وادي المخازن:** هي معركة قامت بين المغرب الأقصى والبرتغال في **30 جمادى الآخرة 986 هـ/ 4 أوت 1578م**، والّتي كانت تحصيل حاصل لتطور النزاع على السلطة بين الملوك السعديين: **محمد المتوكل والسلطان أبو مروان عبد الملك** إلى حرب مع البرتغال بقيادة الملك **الدون سبسـتيان**، الّذي حاول القيام بحملة صليبية للسيطرة على جميع شـواطئ المغرب وكي لا تعيد الدولة السـعدية بمعاونة العثمانيين الكرّة على الأندلس؛ وهي المعركة الّتي انتصر فيها المغاربة وفقدت الإمبراطورية البرتغالية فيها سيادتها وملكها وجيشها والعديد من رجال الدولة. ينظر: شوقي أبو خليل، (1988م)، **معركة وادي المخازن، معركة الملوك الثلاثة، القصر الكبير**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ص ص 45. 165.

(35) **آل هابيسبورغ:** ويشار إليهم أحياناً باسم **آل النمسا**، كانوا أحد أهم العائلات المالكة في أوربا، الّتي تشتهر كونها مصدر الأباطرة المنتخبين رسمياً لحكم الإمبراطورية الرومانية المقدسة بين **1438م – 1740م**، يعود أصولها إلى **سويسرا**، حكمت النمسا لمدة تجاوزت ستة قرون، ثم انقسمت المملكة في القرن السادس عشر إلى فرعين: **هابسبورغ إسبانيا** الكبير و**هابسبورغ النمسا** الأصغر، وكما هو الحال في البيوت المالكة فإن النسب يستمر عن طريق خط الذكور وبالتالي عملياً انقرضت فروع **آل هابسبورغ** في القرن **18م**، حيث انتهى الفرع الإسباني بوفاة **تشارلز الثاني** في **1700م**، واستبدل بفرع **أنجو** من **بوربون**، أما الفرع النمساوي فانتهى في سنة **1780م**، مع وفاة الامبراطورة **ماريا تيريزا**، وخلفها فرع **فاودومونت** من أسرة **لورين** عبر ابنها **جوزيف الثاني**. ينظر:

Edward (C), (1970), **The Fall of the House of Habsburg,** Sphere Books Limited, London, P. P. 156 – 212.

(36) Jean Louis (V), (1995), **Dictionnaire Des Personnages Historiques**, Editions De Fallois Fischer Taschebruch Verlag, G M B H , P. P. 841 – 843.

(37) **فيليـب الثـاني (ت1598م):** ملـك نـابولي وصـقلية **(1554-1598)**، وانكلترا القـرين **(كـزوج لمـاري الأولى)** بـين عـامي **(1554م – 1558م)**، وحاكم المقاطعات **السبعة عشر** (حاصلا على مختلف ألقاب تلك الأراضي، مثل **الدوق أو الكونت**) من **(1556م حتَّى 1581م)**، ملك البرتغال والغـرب **(باسـم فيليـب الأول) مـن 1580م حتى 1598م**، ومملـك تشـيلي مـن **1554 حتى 1556م**، عمـل على تعزيـز مكانـة إسـبانيا السياسـية والعسـكرية، وأيـد الكاثوليكيـة بقـوة، فسـاعد ذلك على نشـوب الثـورة المذهبيـة في الأراضي الواطئـة **(هولنـدا حاليـاً) (1568م- 1609م)**، وإلى

دخول الإسبان في حروب ضد العثمانيين ما **بين سنتي 1571م- 1578م**، وضد انكلترا **من سنة 1588م حتى سنة 1604م**، وبلغت محاكم التفتيش في عهده ذروتها. توفي سنة **1598م**. ينظر:

Bartolomé (B), **op, cit,** P. 256.
)38(Ibid, P 841 - 843.
)39(Javier (C), **op, cit,** P.P. 49 – 100.
(40) نور الدين حاطوم، (1985)، **تاريخ عصر النهضة الأوروبية**، دار الفكر، ص ص257. 265.
)41(Bartolomé (B), **op, cit,** P. 308.
)42(Edouard (A), **Encyclopédie Catholique Répertoire Universel Et Raisonne Des Sciences, Des Lettres, Des Art Et Des Métiers – Une Bibliothèque Universelle Avec La Biographie Des Hommes Célères –,** T 1 , Parent Débarres Editeur De L'Histoire D'Angleterre, Paris, P. 463.
43 Ernest (R), **op, cit,** P. P. 119 – 154.
(44) **خير الدين بربروس (ت954هـ/1546م):** مجاهد مسلم، ولد في جزيرة **ميديللي عام 1470م**، عُرف في أوربا **بباربروسا** أو ذي اللحية الحمراء، شارك مع أخويه **عروج وإسحق** في غزواتٍ بحريةٍ عديدةٍ، ثم تولى منصب حاكم إيالة الجزائر قبل أن يعيّنه السلطان سليمان القانوني كأول قائدٍ عامٍّ لجميع الأساطيل البحرية للخلافة العثمانية عام **1534م** في إسطنبول، كما وذاعت شهرته بسبب فتوحاته البحرية المتتالية، وهزائمه المدوية الّتي ألحقها بالدول الأوربية وأهمها انتصاراته على الإمبراطور **شارلكان**، توفي خير الدين في **5 جوان 1546م**، بإسطنبول، ودُفن في مدفنٍ خاصٍّ في منطقة بشكطاش. ينظر: صالح كليل (2006)، **سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لاحتلال المغرب الأوسط**، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، (غير منشورة)، نوقشت بقسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، باتنة، الجزائر، ص ص 45. 126.

)45(Puglisi (A), **op, cit,** P. 147 .
)46(Fitzroy (D), **Encyclopedia Of Africain History**, (V.1), An Imprint Of The Taylor & Francis Croup, New York. P.P. 379 – 381.
(47) **أبو العباس أحمد المنصور (ت1012هـ/1603م):** هو أبو العباس أحمد بن محمد المهدي الشيخ بن محمد القائم بأمر الله الزيداني الحسني السعدي، ولد بفاس عام **956هـ/1549م**، والدته الحرة **مسعودة بنت الشيخ أحمد بن عبد الله الوزكيتي**، كان أحمد عالما مهتما بالعلم والعلماء، مؤلفا للكتب، ومجالسا للعلماء، فكان الطابع العلمي من أهم مميزات هذا السلطان، إلى جانب معاملاته الدبلوماسية والتجارية الّتي أنعشت المغرب، توفي مطعونا ليلة الإثنين **16 ربيع الأول عام 1012هـ/24 أوت 1603م**، ودفن بإيزاء الجامع الأعظم بفاس الجديدة، ثم نقل إلى مراكش ودفن في قبور الأشراف قبلى جامع المنصور بالقصبة. ينظر: أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي الفاسي إبن القاضي (ت 1056هـ/ 1651م)، (1986)، **المنتقى المقصور على مآثر مولانا المنصور**، (ج1)، دراسة وتح: محمد رزوق، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، ص ص 220. 230.

)48(Puglisi (A), **op, cit,** P . 147 .
(49) **الأَسقفية:** مفردها: **أَسقف**، وجمعها: **أَساقفة**، وهو لقب دينيٌّ أُطلق على فئة من رؤساء الكنيسة ممّن هم فوق رتبة **القسّيس** ودون رتبة **المطران**. ينظر: مصطفي عبد الكريم الخطيب، (1996م)، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص 29.

)50(Javier (C), **op, cit,** P. P. 49 – 100.
)51(Puglisi (A), **op, cit** , P. 14.
)52(Ibid, P. 144.
(53) لوس دل مارمول كاربخال (ت 1019هـ/ 1611م)،(1984)، **إفريقيا**، (ج2)، تر : محمد حجي، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مكتبة المعارف، الرباط، ص 158.
(54) نفسه، (ج1)، ص 12.

)55(Thomas (D), Chesworth (J), **op, cit,** P. P. 283 – 293.
)56(Puglisi (A), **op, cit,** P. 142 .
) 57(Luis (M),(1906), **Le Maroc Dans Les Premières Années Du Xvi Siècle tableau Géographique D'après Léon L'africain**, Libraire Antiquaire, Rue De Buol, Paris P.P .25 – 78.
(58) النسخة الأصلية لكتاب إفريقيا، موجودة في غرفة دوراروس "**Sala de Raros**" بمدريد، والمصنف تحت رقم **745 _ N° R 31** ؛ ينظر:

Ismet (T) , (1981), "**Historiographie Et Nécessité De Recherche Historique Sur l'Algérie Du Xvie Au Xviiie Siècle ,Historiographie Espagnole Moderne Sur l'Algérie Ottomane** " , (Acte Du Séminaire International

Sur Les Sources Espagnoles De l'Histoire d'Algérie, C.R.I.D.I.S.H, Université d'Oran , 20-22 Avril) P. P. 229 – 244

(59) ترجم الكتاب إلى الفرنسية من قبل بِيير سيور بِيلانكو، وأُضيفت له بطاقات جغرافية من طرفِ السيّد سان سون «**Sanson** »، أما فيما يخص تاريخ الشرفاء الّذي أدمج مع كتاب مارمول كتكملة له للحوادث حتَّى غاية **1571م**، فقد ترجمه ديغو دي طوريس للإسبانية بعدما كان باللُّغة البرتغالية، والّذي ترجمه الدوق دانغولاسم الأب «**D'Angolesme Le Père**» للفرنسية، فأصبح بذلك كل من الكتابين بِاللُّغة الفرنسية، ثم نشرهما لُويس بيلان «**Luis Billaine**»، سنة **1667م** في ثلاثة أَجزاء بباريس، أين جاء الجزء الأول يحتوي على **532** صفحة، والثَّاني على **578** صفحة، والثالث على **304** صفحات، كما أضيفت له **28** بطاقة خارجية عن النص الأصلي متوزعة على الأجزاء الثَّلاثة؛ فيكون بذلك الوعاء المعرفي في الترجمة الفرنسية يمتد حتَّى غاية **1571م**، وفي النسخة الأصلية يتوقف في سنوات **1559م**. ينظر في هذا الجانب:

Chaveuil (B), (2017), **Voyage A Travers L'Algérie, Bibliotheque Michel Ameller Livres & Manuscrit**, Paris, P. 14.

(60) Abdelaziz (G), (2014), **Bibliotheque Marocaine – Orientalisme**, Livres & Manuscrites, Hôtel Drowot, P. 49.

(61) لويس دل مارمول كاربخال، (2012)، **وقائع ثورة الموريسكيين**، ترجمة: جزر وسام محمد، مراجعة وتقديم: عبد الرحمان جمال، (ج2)، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

(62) ريدلي مات، (2006)، **الطبع عبر التطبع، الجينات والخبرة وما يجعلنا آدميين**، ترجمة: عبد الرؤوف عصام، مراجعة: يوسف عاطف، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة، ص ص 23 . 67.

(63) محمد فهيم حسين،(1978)، **أدب الرحلات**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص 30.

(64) نفسه، ص 33.

(65) **صحراء أنكاد:** صورها الحسن الوزان خلال القرن **10هـ/16م**، على أنها منطقة: « (...) يعيش فيها عدد من الغزلان والوعول والنعام، وهي مأوى لعصابة لصوص من الأعراب على استعداد دائم للفتك بالمارين من هناك، حيث الطريق المؤدية من فاس إلى تلمسان، وقلما ينجو التجار من شرهم، لا سيما في فصل الشتاء، لأن الأعراب المستأجرين للحفاظ على الأمن في البلاد يكونون قد رحلوا عنها آنذاك إلى نوميديا، ويقضي أيضا الشتاء في هذا القفر عدد من الرعاة، لكن السباع تفترس أو تعطب كمية وافرة من الغنم وحتى الناس(...)». للمزيد ينظر: أبو علي الحسن بن محمد الوزان (كان حياً سنة 935هـ/ 1528م)، 1983، **وصف إفريقيا**، (ج2)، تر: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، ص 11.

(66) لوس دل مارمول كاربخال (ت 1019هـ / 1611م)، (ج2)، **مصدر سابق**، ص 292.

(67) نفسه، (ج2)، ص 292.

(68) نفسه، (ج2)، ص 292.

(69) **مدينة تَبَحرِيت:** هي مدينة قال عنها الحسن الوزان أنها: « (...) مدينة صغيرة بناها الأفارقة على ساحل البحر الأبيض المتوسط في رأس صخرة بعيدة بنحو اثني عشر ميلا عن ندرومة، وبقربها جبال عالية وعرة لكنها كثيرة السكان، وأهل تبحريت نساجون إلا القليل منهم (...) والأراضي المجاورة حجرية هزيلة لا ينبت فيها سوى القليل من الشعير، ويرتدي السكان لباسا مزريا (...)». ينظر: أبو علي الحسن بن محمد الوزان (كان حياً سنة 935هـ/ 1528م)، (ج2)، **مصدر سابق**، ص 14 15.

(70)**مدينة هنين:** قُيِّدت عند الرحالة نفسه على النحو التالي: «(...) هي مدينة صغيرة قديمة بناها الأفارقة، وهي أنيقة صينة للغاية، لها ميناء صغير محروس ببرجين، كل واحد منهما في جهة، وتحيط به أسوار عالية متينة، لا سيما من جهة البحر، (...)كان سكان هنين في القديم نبلاء شرفاء يعملون كلهم تقريبا في القطن والمنسوجات. ودورهم في غاية الجمال والزخرفة، (...) لكن عندما بلغ السكان خبر احتلال وهران تركوها فأصبحت الآن خاوية على عروشها (...) وتنتج كميات وافرة من الثمار كالكرز والمشمش والتفاح والاجاص والخوخ وما لا يحصى من التين والزيتون (...) ». ينظر: أبو علي الحسن بن محمد الوزان (كان حياً سنة 935هـ/ 1528م)، (ج2)، **مصدر سابق**، ص 15 . 16.

(71) لوس دل مارمول كاربخال (ت 1019هـ/ 1611م)، (ج2)، **مصدر سابق**، ص 296.

(72) **عروج بن أبي يوسف يعقوب التركي (ت 924 هـ/ 1518م):** ولد في جزيرة **ميديلي** العثمانية، قام عروج هو اخوانه بفتوحات كثيرة ومتكررة على سواحل الجزائر وتونس، من أهمها فتح قلعة **بجاية** ومدينة **جيجل**، لينتقل بعد ذلك إلى مدينة **الجزائر** الّتي حكمها لاحقاً وأصبح أميرا عليها، وضم بعد ذلك مدينتي **تنس** و**تلمسان** الّتي قتل فيها هو ورجاله في سنة **924 هـ/ 1518م**. لتفاصيل أكثر ينظر: عزيز سامح التر، (1989م)، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، ص ص 56 . 98.

(73) نفسه، (ج2)، ص 308.

(74) **أرشكول: (رشقون حاليا):** مدينة قديمة وفها الحسن الوزان، كما يلي: « (..). مدينة كبيرة قديمة بناها الأفارقة على صخرة يحيط بها البحر من كل جانب، ما عدا الجنوب حيث يوجد طريق ينزل من الصخر إلى اليابسة، وهي واقعة على بعد نحو أربعة عشر ميلا من تلمسان، كانت مدينة في غاية العمران والحضارة، (...) أعاد بناءها قوم أتو من الأندلس بعد أن حطمها ملك القيروان، بعدما كانت دار إمارة إدريس، ثم خربت المدينة عدة مرات (...)». ينظر: أبو علي الحسن بن محمد الوزان (كان حياً سنة 935هـ/ 1528م)، (ج2)، **مصدرسابق**، ص 16.

(75) لوس دل مارمول كاربخال (ت 1019هـ/ 1611م)، (ج2)، **مصدرسابق**، ص 310.

(76) نفسه، (ج2)، ص 321.

(77) نفسه، (ج2)، ص 322.

(78) **قصرتمزيزدكت:** عرفه الحسن الوزان في كتابه وصف افريقيا، على الشكل الآتي: « (..). شيد قديما على صخرة، (...) ويسيل في سفحه نهر التافنة، وتحيط به أراضي جيدة كانت تزرع فيها حاجيات السكان، (...) كان هذا القصر موضع صيانة تامة(...)». ينظر بالتفصيل: أبو علي الحسن بن محمد الوزان (كان حياً سنة 935هـ/ 1528م)، (ج2)، **مصدرسابق**، ص 11.

(79) لوس دل مارمول كاربخال (ت 1019هـ/ 1611م)، (ج2)، **مصدرسابق**، ص 293.

(80) **مدينة ندرومة:** مدينة قديمة تابعة لتلمسان منذ القدم أرخ لها الحسن الوزان، على النحو التالي: « (...) أسس هذه المدينة الرومان قديما عندما كانوا يحكمون المنطقة، وبنوها على بقعة واسعة في السهل، بعيدة بنحو ميلين من الجبل واثني عشر ميلا من البحر المتوسط، (...) اسمها مشتق من كلمة (ند) وهي (مثيل) (...) حول ندرومة بساتين عديدة وأراض مغروسة بأشجار الخروب (...) كما يتغذون بالعسل (...) وينتجون بكثرة القطن (...)». ينظر: أبو علي الحسن بن محمد الوزان (كان حياً سنة 935هـ/ 1528م)، (ج2)، **مصدرسابق**، ص 13 ـ 14.

Abū Ali Hassan (W), (1898), **Description De L'Afrique tierce parti du monde Léon africain**, Nouvelle Edition Annotée Par: Charles Schefer, V 3, Ernest Leroux Editeur, Paris, P. 12 –14 - 13 -

(81) لوس دل مارمول كاربخال (ت 1019هـ/ 1611م)، (ج2)، **مصدرسابق**، ص 295.

(82) نفسه، (ج2)، ص 351.

(83) **مدينة تلمسان الكبرى: (مركز المملكة):** مدينة خص لها الحسن الوزان سطور معتبرة، وفي الآتي جانبا منها: «(...) هي عاصمة المملكة،...وكل ما يقال عنها أنها كانت مدينة صغيرة بدأت تمتد إثر تخريب أرشكول، (...) وقد توسعت أيام بني عبد الواد ...وبلغت حقا درجة عالية من الإزدهار، ... وجميع الصنائع والتجارات بتلمسان موزعة على مختلف الساحات والأزقة، ... وفي المدينة عدة سقايات، لكن العيون خارج المدينة، ...والأسوار في غاية الارتفاع، ...وخارج تلمسان ممتلكات هائلة فيها دور جميلة للغاية ينعم المدنيون بسكناها في الصيف، حيث الكروم المعروشة الممتازة... ». للمزيد ينظر: أبو علي الحسن بن محمد الوزان (كان حياً سنة 935هـ/ 1528م)، (ج2)، **مصدرسابق**، ص ص 17 ـ 20.

Abū Ali Hassan (W), (1600), **The Story An D Description OF África AND Of The Notable Things Therein Contained, Written By AL - Hassan Ibn – Mohammed Al-Wezaz Al - Fasi, A Moor, Baptised As Giovanni Leone, But Better Known As Leo Africanus**, By : John Pory, Printed For The Haklut Society, Lincoln's Inn Fields, London, P. P. 149 – 156.

(84) لوس دل مارمول كاربخال (ت 1019هـ/ 1611م)، (ج2)، **مصدرسابق**، ص 298.

(85) نفسه، (ج2)، ص 300.

(86) نفسه، (ج2)، ص 300.

(87) نفسه، (ج2)، ص 295.

(88) نفسه، (ج2)، ص 355.

(89) نفسه، (ج2)، ص 299.

(90) نفسه، (ج2)، ص 299.

(91) نفسه، (ج2)، ص 295.

(92) **بني ورنيد:** قبيلة بربرية الأصل عربية اللسان، من بطون بني دمر الزناتيين كما وردت أخبارها عند ابن خلدون الذي قال عنها أنها من: **"(...) ولد ورنيد بن وانت بن واردير بن دمر، وأن إخوتهم بنو يصدرين وبنو صمغان، وبنو يطوفت (...)"**. ينظر: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد إبن خلدون (ت 808هـ/ 1403م)، (2000)، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، (ج7)، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص 72. كما وجاء ذكر جبلها عند الحسن الوزان على النحو الآتي: "... يقع هذا الجبل على بعد نحو ثلاثة أميال من تلمسان، وهو كثير السكان، ينتج كمية وافرة من الفواكه، لا سيما التين والكرز(...)، وأهله فحامون

وحطابون وفلاحون، (...) بحيث أن دخل هذا الجبل اثنا عشر ألف مثقال في السنة (...)". ينظر: أبو علي الحسن بن محمد الوزان (كان حياً سنة 935هـ/ 1528م)، (ج2)، **مصدرسابق**، ص 44.

(93) لوس دل مارمول كاربخال (ت 1019هـ/ 1611م)، (ج2)، **مصدرسابق**، ص 352.

(94) نفسه، (ج2)، ص ص 298 ـ 299.

(95) نفسه، (ج2)، ص 300.

(96) نفسه، (ج2)، ص 296.

(97) نفسه، (ج2)، ص 301.

(98) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد إبن خلدون (ت 808هـ/ 1403م)،(ج7) **مصدرسابق**، ص 184.

(99) لوس دل مارمول كاربخال (ت 1019هـ/ 1611م)، (ج2)، **مصدرسابق**، ص 301.

(100) نفسه، (ج2)، ص ص 298 ـ 299.

(101) نفسه، (ج2)، ص 298.

(102) نفسه، (ج2)، ص 298.

(103) نفسه، (ج2)، ص 300.

(104) نفسه، (ج2)، ص 298.